Adab Al-Rafidayn

https://ojs.uomosul.edu.iq/index.php/radab

The destruction of books by Mosul scholars during the Abbasid era and ways to preserve them

Maha Saeed Hameed
Mosul Studies Center / University of Mosul/
Mosul-Iraq

Article Information

Article History:
Received Nov,25, 2025
Revised Jan ,08 .2026
Accepted Jan, 12, 2026
Available Online Feb. 1, 2026

Keywords:
Destruction ,
Books,
Mosul,
Works,
Sustainable development,
Abbasid era

Correspondence
Maha Saeed Hameed
mahasa. eed2@uo
mosal.edu.iq

Abstract

In the last two decades, studies and research have emerged addressing the practices of authorities in destroying books, or the burying, burning, or washing away of works by some authors. These studies have generally reviewed these practices without specifying a geographical or political division. This research, however, examines cases of book destruction within the geographical context of Mosul during the Abbasid era, regardless of the various states that ruled Mosul during that period. Considering the number and abundance of works by Mosul scholars, the destruction of books by Mosul scholars is not a widespread phenomenon, but rather a series of isolated incidents documented by biographers and chroniclers, who often do not provide details about book destruction in general. The aim of this research is to document instances of book destruction by Mosul scholars during the Abbasid era, whether perpetrated by the authors themselves or by the authorities, through burying, washing, tearing, or burning. The destruction of books poses a challenge to sustainable development because it wastes educational and cultural resources, and this research explores ways to ensure their preservation .

The importance of this research lies in studying the cases of book destruction by Mosul scholars, both within the city and elsewhere, during the Abbasid era, and understanding the reasons for and consequences of this destruction. This demonstrates the city's prominent position in the cultural sphere, particularly in the classification of books, their size, quality, and influence on the intellectual landscape. The analytical and critical approach to historical texts was adopted. One of the difficulties the researcher faced was the scarcity of scholarly material and texts in historical sources, which are almost nonexistent. The research is divided into an introduction and three paragraphs. The first paragraph discusses the motives behind the destruction of books by Mosul scholars, both within the city and elsewhere. The second paragraph addresses methods of book destruction in Islamic heritage in general, providing examples of the destruction of books by Mosul scholars. The third paragraph explores how to preserve destroyed books. The conclusion summarizes the most significant findings and recommendations of the

research, most notably that the phenomenon of book destruction in Islamic history began with the development of documentation in various sciences and continued into subsequent eras, albeit with variations in its causes and methods. Furthermore, many books of Islamic heritage have been lost due to both deliberate and unintentional destruction. This phenomenon was not widespread but rather characterized by a scarcity of information and a dearth of historical sources .

DOI: ----------, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (**http://creativecommons.org/licenses/by/4.0**).

إتلاف كتب علماء الموصل خلال العصر العباسي وسبل استدامتها

مها سعيد حميد *

المستخلص :

ظهرت في العقدين الاخيرين دراسات وابحاث تتناول ممارسات السلطة في إتلاف الكتب او قيام بعض المصنفين بدفن او حرق او غسل مصنفاتهم، وهذه الدراسات قد استعرضت تلك الممارسات بشكل عام، دون تحديد تقسيم جغرافي او سلطوي، في حين تناول هذا البحث حالات إتلاف الكتب في محيط جغرافي وهو مدينة الموصل خلال العصر العباسي، بغض النظر عن الدويلات التي شغلت حكم الموصل خلال ذلك العصر، وقياسا مع عدد مصنفات علماء الموصل وكثرتها ، لا يعد إتلاف كتب علماء مدينة الموصل ظاهرة بقدر ماهي حالات تم رصدها من قبل كتاب التراجم والسير، الذين في كثير من الاحيان لايقدمون تفاصيل عن إتلاف الكتب بشكل عام،هدف البحث رصد حالات اتلاف كتب علماء الموصل خلال العصر العباسي من قبل مصنفيها او السلطة سواء تمثلت بدفنها اوغسلها او تمزيقها او حرقها ، اذ ان إتلاف الكتب يعد تحديا للتنمية المستدامة لانه يهدر موارد تعليمية وثقافية ، ويحرم طلبة العلم والعلماء والمجتمع من مادة وإرث علمي يصب في منفعته .

اما اهمية البحث هو دراسة حالات إتلاف كتب علماء الموصل سواء في المدينة ذاتها أو خارجها خلال العصر العباسي ومعرفة اسبابها وأهم نتائجها ، مما يدل على مكانة المدينة في الجانب الحضاري لاسيما في تصنيف الكتب ومقدار حجمها ونوعيتها واثرها وتأثيرها في الوسط المعرفي، وقد تم اعتماد المنهج التحليلي والنقدي للنصوص التاريخية، ومن الصعوبات التي واجهت الباحثة هو قلة المادة العلمية والنصوص في المصادر التاريخية التي تكاد ان تكون نادرة.

قسم البحث الى مقدمة وثلاثة محاور، تحدث المحور الاول عن دوافع إتلاف كتب علماء الموصل في المدينة ذاتها او خارجها، وتناول المحور الثاني طرق إتلاف الكتب في التراث الاسلامي بصورة عامة واعطاء نماذج عن إتلاف كتب علماء الموصل ، وتطرق المحور الثالث كيفية استدامة الكتب التالفة ثم خاتمة ضمت ابرز ما توصل اليه البحث من نتائج وتوصيات اهمها ان ظاهرة إتلاف الكتب في التاريخ الاسلامي بدأت مع تطور التدوين في مختلف العلوم، ثم انتقلت الى العصور التي تليها مع تباين في الظاهرة من حيث اسبابها ووسائلها.، فضلا عن فقدان الكثير من كتب التراث الاسلامي بسبب الاتلاف المتعمد وغير المتعمد، ولم تشكل ظاهرة عامة بقدر ما هي حالات تتسم بالشحة وندرة المعلومات التي ورد ذكرها في المصادر التاريخية.

الكلمات المفتاحية: إتلاف، الكتب، الموصل، مصنفات، التنمية المستدامة، العصر العباسي.

المقدمة:

كان للحضارة العربية الاسلامية قدم السبق على سائر الحضارات في الاهتمام بالكتب تأليفا وتصنيفاً وشروحاً وتلخيصاً بما لاتعرفه حضارة اخرى مثلما عرفته حضارتنا، الا ان الكتاب العربي الاسلامي تعرض لكوارث كثيرة، كان من أهمها الحروب والغزوات التي تعرض لها العالم الاسلامي وحواضره ، اذ دمرت الكثير من المكتبات والخزائن، كما كان للمحن مثل الزلازل والفيضانات اثر مهم على مصيره الذي تعرض للسلب والنهب والتدمير ، فضلا عن السرقة والجهل والتعصب والاهمال وعدم امانة المشرفين على الكتب، الامر الذي ادى الى ضياع الاف الكتب على اقل تقدير، وهي ثمرة جهود العلماء والادباء والمفكرين عبر عصور مختلفة، فضلا عن ذلك ما

* مركز دراسات الموصل / جامعة الموصل / الموصل – العراق

تعرضت له الخزائن والكتب من فقدان بسبب وجود ظاهرة غريبة بين العلماء الا وهي ظاهرة اتلاف الكتب كحرقها عمدا او غسلها بالماء او دفنها في باطن الارض او تمزيقها.

الاتلاف لغة واصطلاحا: الاتلاف لغة على وزن افعال وهو مصدر من اتلف ، والتلف هو العطب والهلاك في كل شيء وهو مشتق من الفعل تلف يتلف تلفاً والمتلاف هو الهلاك[1]، ويقصد به الاهلاك والافساد والافناء اي زوال الشيء وذهابه[2]، اما اصطلاحا : هو افساد الشيء او اهلاكه، اي ابطال المنفعة او الانتفاع من الشيء عينا او مالا[3].

هدف البحث رصد حالات اتلاف كتب علماء الموصل خلال العصر العباسي من قبل مصنفيها او السلطة سواء تمثلت بدفنها او غسلها او تمزيقها او حرقها ، اذ ان إتلاف الكتب يعد تحديا للتنمية المستدامة لأنه يهدر موارد تعليمية وثقافية ، وكيفية سبل استدامتها .

اما اهمية البحث فهي دراسة حالات إتلاف كتب علماء الموصل سواء في المدينة ذاتها او خارجها خلال العصر العباسي ومعرفة اسبابها وأهم نتائجها ، مما يدل على مكانة المدينة في الجانب الحضاري لاسيما في تصنيف الكتب ومقدار حجمها ونوعيتها واثرها وتأثيرها في الوسط المعرفي، وقد تم اعتماد المنهج التحليلي والنقدي للنصوص التاريخية.

اما فيما يخص الدراسات السابقة التي كتبت في هذا الموضوع ، لكنها لم تتطرق الى مدينة الموصل هي: بحث (ظاهرة اتلاف الكتب وتداعياتها المذهبية- دراسة تاريخية في العصر العباسي (132-656هـ/749- 1258م) للباحث علي خضير الحدراوي منشور في مجلة كلية الاداب ، جامعة الكوفة، ع2،64/2022)، وبحث (اتلاف السلطة للكتب في الحضارة العربية الاسلامية) للباحثة د. اسراء محمد عبد ربه، منشور في مجلة بحوث الشرق الاوسط العدد48 وكتاب(ظاهرة إتلاف الكتب) للباحث محمد ابراهيم العثماوي(د/ت) ، وبحث (ظاهرة إتلاف الكتب في التاريخ الإسلامي (مدخل لدراسة الظاهرة) للباحث ساعد غلاب منشور في الجزائر/ مجلة البحوث التربوية والتعليمية :2022، المجلد11/ العدد2، 2022، وبحث (إتلاف الكتب في الحضارة العربية الاسلامية- دراسة تاريخية في اسبابها في العصر العباسي (132-656هـ/749- 1258م) للباحث نوفل محمد نوري/ كلية التربية جامعة الموصل، منشور في مجلة التربية والعلم، مجلد17/ العدد4/2010.

قسم البحث الى مقدمة وثلاثة محاور، تحدث المحور الأول عن دوافع إتلاف كتب علماء الموصل في المدينة ذاتها او خارجها، وتناول المحور الثاني طرق إتلاف الكتب في التراث الاسلامي بصورة عامة واعطاء نماذج عن إتلاف كتب علماء الموصل، وتطرق المحور الثالث عن كيفية استدامة الكتب التالفة ثم خاتمة ضمت ابرز ما توصل اليه البحث من نتائج وتوصيات.

اولاً: دوافع إتلاف كتب:

هناك عدة دوافع وراء إتلاف كتب علماء الموصل هي: اولا: دوافع فكرية : يكاد يكون هذا الدافع من اهم الاسباب ، وبرغم ندرة النصوص الا ان هناك شواهد حصرها يعبر عن إتلاف الكتب مثل ما حصل مع المحدث غسان بن عبيد الازدي الموصلي (ت200هـ/815م)، الذي اتلف احاديثه بكونه غير مختص ومتقن لعلم الحديث وغير متفرغ له، بسبب اشتغاله بالكيمياء ولا يعرف شيئا عن الحديث اذ ذكر المؤرخون الذين نقل بعضهم عن بعض : " غسان بن عبيد الموصلي كان يعالج الكيمياء، وما عرفناه بشيء من الحديث ، ولا حدث ههنا بشيء، كتبنا عنه ، قدم علينا ها هنا ، ثم حرقت حديثه"[1]، يبدو ان المحدث غسان بن عبيد الازدي الموصلي كان بعيد عن العلوم النقلية ومنها الحديث، وله اهتمام بالعلوم العقلية مثل الكيمياء وهو متقن لها اكثر من علوم الحديث ، بل يؤخذ عليه جهله في جرح الحديث وتعديله، وهو يقودنا الى استنتاج مهم ان موضوعات الكتب التي اتلفت كانت تخص الحديث الشريف لضعفها وحفاظا على تدوين الحديث الشريف بشكل صحيح لاسيما بدايات التدوين ، وان الاتجاه الفكري للمحدثين كان حريصا على رصانة كل من اشتغل بعلم الحديث، وهناك سبب آخر اساسي هو الورع والخوف من الله عز وجل.

ومن الامثلة التي وصلت الينا ايضا المحدث ابي بكر محمد الجعابي (ت355هـ/965م)[1] ، كان قد اوصى بإتلاف كتبه اذ" اوصى بأن تحرق كتبه فأحرقت جميعها، واحرق معها كتب للناس كانت عنده، وكان عند ابن الجعابي مائة وخمسون جزءا فذهبت في جملة ما

---

[1] الفراهيدي،(1409هـ)، ابي عبد الرحمن بن احمد (ت175هـ/791م)، كتاب العين، تحقيق:مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، ط2، مؤسسة دار الهجرة،8/120-121.

[2] الفيروز ابادي،(2008)، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت817هـ/1414م)، معجم القاموس المحيط، لبنان:دار المعرفة،ص159.

[3] فتح الله،(1995)، احمد، معجم الفاظ الفقه الجعفري، ط1، الدمام، ص27.

[1] الخطيب البغدادي،(2011)، ابو بكر احمد بن علي(ت463هـ/1071م)، تاريخ بغداد ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط3، لبنان: دار الكتب العلمية،12/325؛ الذهبي،(2009) شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان(ت748هـ/1374م)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: محمد بركات ، ط1، سوريا: الرسالة العالمية،3/335.

[1] الخطيب البغدادي،(2011)، تاريخ بغداد،3/ 241.

احرق"[2]، وهذه الرواية تدل على كثرة تصانيفه في الحديث الشريف ، لكنه كان يعول على ما يحفظه ويرويه، في حين ان وصيته في اتلاف كتبه، يدل على رغبته في عدم الاطلاع عليها من قبل خصومه، ليس لدوافع نفسية او مراجعات فكرية تخصه، انما لكي لا تكون حجة عليه يقع من خلالها في الحرج، في حين يمكن ان نستنتج ان هذه الكتب التي تم إتلافها كانت موضوعاتها تخالف التوجهات الفكرية للدولة العباسية بدليل حرقها، وقد تكون الكتب التي احرقت الأخرى (كتب الناس) لا تختلف موضوعاتها عن موضوعات كتبه.

كما اورد المؤرخون اشارات بسيطة حول اسباب إتلاف كتبه منها عندما تقلد ابو بكر الجعابي قضاء الموصل لم يحمد في ولايته، وكان صاحب غرائب ، ومذهبه معروف في المخالفة، وكان الناس تشكك بحديثه اذ ذكرت المصادر التاريخية[3]" طعن عليه في حديثه وسماعه" .

وذكر الذهبي[4] انه خلط في الحديث، ولعل قول الاخير انه خلط لا يعني انه غير ثقة، وهناك رواية مفادها ان ابن الجعابي المحدث قد صحب قوما من المتكلمين ، فسقط عند كثير من اصحاب الحديث ، ووصل الى مصر ودخل الى الاخشيد، ثم مضى الى دمشق فوقفوا على مذهبه، فخرج هاربا ، وعندما مات ابن الجعابي كان بعض الاشخاص يسيرون فسمعوا الصائح بموته ورأوا كتبه تل رماد، وهذا دليل واضح على كثرتها وعلى العمل بوصيته، ويبدو ان هذه الكتب كانت عبئاً عليه في حياته، فخاف على ذريته من تبعاتها وما فيها من مخالفة توجهاتها الفكرية للخلافة العباسية، فضلا عن ان كثير من المتكلمين كانوا محدثين وان الجعابي كان ورعا ومحتاطا في قضية رواية الحديث، وان كثير من الخصومات كانت تحصل بين اصحاب المذاهب فتروج مثل هذه الروايات ، كما اورد له الصفدي نقلا عن الخطيب البغدادي[5] بعض الأبيات الشعرية منها:

يا خليلي جنباني الرحيقا إنني لست للرحيق مطيقــا

غير اني وجدت للكأس نارا تلهب الجسم والمزاج الرقيقا

ثانيا: دوافع نفسية: وهي من الدوافع المهمة لاتلاف الكتب وخير مثال على ذلك قيام المحدث ابو الحسن علي بن مسهر القرشي قاضي الموصل (ت189هـ/804م) باتلاف كتبه، ولم تذكر المصادر سبب ذلك، ماعدا صاحب كتاب الجواهر المضية اورد نصا مهما وهو ان "علي بن مسهر ...من اصحاب ابي حنيفة وهو الذي اخذ عنه سفيان الثوري علم ابي حنيفة ونسخ منه كتبه وكان ابو حنيفة ينهاه عن ذلك ، قلت وهو كوفي قاضي الموصل...."[1] ، يبدو ان إتلافه للكتب انه كان ينسخ كتب ابي حنيفة وكان الاخير قد نهاه عن تدوينها ، وبالتالي من الواضح ان فعل دفنه للمصنفات التي كتبها هو بسبب دوافع ذاتية ، وحرصه على رغبة شيخه ابي حنيفة ، وان ملامة نفسه على مخالفة شيخه، وعدم طاعته من خلال التدوين ، جعل سلوكه في اتلاف كتبه ، هو راحة لنفسه وطاعة لشيخه، وخوفا من وقوعه في أثم ارتكبه ، فكان خلاصه في إتلافها.

ثالثا: دوافع سياسية: من اقدم الدوافع لإتلاف الكتب التعبير عن توجهات السلطة الفكرية ومرحلة مبكرة نسبيا من تطور التدوين التاريخي، ومن الامثلة على ذلك، ما تعرض له ابو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي اللغوي وهو من مدينة الموصل اذ ذكر ابن خلكان[2]، بأن اصله من الموصل ،رحل الى بغداد، ثم رحل الى الاندلس في ايام هشام بن الحكم وولاية المنصور بن ابي عامر سنة (380هـ/990م)، وجمع له كتاب الفصوص وهو كتاب لغوي ادبي الفه ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت356هـ/967م) اتبع فيه منهج الأخير في أماليه وهو منهج علمي نقلي تعليمي، فاكرمه واثابه عليه خمسة الاف دينار، الا انه كان يتهم بالكذب في نقله، فلهذا رفض الناس كتابه، حسب ما ذكرت المصادر التاريخية[3]، وبقي في الاندلس حتى وفاته بصقلية سنة(417هـ/1026م)، ولما ظهر للمنصور كذبه في النقل وعدم تثبته، رمى كتاب الفصوص في النهر لأنه قيل له : لا صحة له.

وايضا الشاعر ابو علي محمد بن ثروان بن سلطان بن حسان المعروف بهياس ولد في الموصل سنة(578هـ/1182م) احب الشعر منذ صغره وصحب ادباء وقته من اهل الموصل، ثم ذهب الى اربل واقام بها مدة من الزمان [4]، له ديوان شعر لكنه لم يصلنا بسبب قيامه

---

[2] الخطيب البغدادي،(2011)، تاريخ بغداد،3/ 241.

[3] الخطيب البغدادي،(2011)، تاريخ بغداد،3/ 241؛الصفدي،(د/ت)، صلاح الدين خليل بن ابيك(ت764هـ/1363م)، كتاب الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارنأووط وتركي مصطفى، بيروت: دار احياء التراث العربي، 170/4.

[4] الذهبي، (2001)، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان(ت748هـ/1374م)، سير اعلام النبلاء،ط11، تحقيق: شعيب الارنؤوط واكرم البوشي، بيروت: مؤسسة الرسالة. 16/ 92.

[5] الخطيب البغدادي،(2011)، تاريخ بغداد،3/ 241؛ الصفدي،(د/ت)،كتاب الوافي بالوفيات،170/4.

[1] القرشي، (1332هـ)،عبد القادر بن محمد بن ابي الوفاء،(ت775هـ/1373م)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ط1، الهند:مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية القرشي،ج55/2.

[2] ابن خلكان، (1998)، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر(ت681هـ/1282م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق: احسان عباس، بيروت: دار الثقافة،402/2.

[3] ابن خلكان، (1998)،وفيات الاعيان،402/2؛ الذهبي، (2001)، سير اعلام النبلاء،8/14.

[4] ابن الشعار،(2005)،أبو البركات كمال الدين المبارك،(ت654هـ/1256م)، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، ط1، تحقيق :كامل سلمان الجبوري، بيروت: دار الكتب العلمية، ج7/ 118-119.

بإتلاف ديوانه، وذلك بسبب تراجع الاقبال على الشعر وما يكتبه الشعراء اذ قام" بغسل ديوان شعره"، وهذا ما اكده ابن الشعار الذي انفرد بترجمته وعبر من خلالها عن مفردات الحياة الادبية في عصره، اذ قال : " نزل اربل، واقام بها برهة من الزمان يتكسب بشعره الوزراء والامراء، ولما رأى من لؤم اهل هذا الزمان، ورفضهم الفضائل والاداب ، وتقاعسهم عن المكرمات، وكساد سوق التقريض ، غسل ديوان شعره، واعتنى بحفظ الحكايات ... واخبار الناس والتواريخ"[5].

رابعا: الدوافع الطبيعية: كان لها دور كبير في اتلاف الكتب بصورة غير مباشرة لكنها شديدة التأثير، لا سيما على الكتب المخزنة لفترات طويلة او في بيئات غير مناسبة كالفيضانات فعندما فاضت بغداد غرقت كتب العالم ابو محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان البغدادي الموصلي (494-569هـ/1100-1173م) وقد عرف عنه أنه عالم له معرفة كاملة بالنحو، رحل الى اصفهان وسمع بها واستفاد من خزائنها ووقوفها ، وكتب الكثير من كتب الادب بخطه وعاد الى بغداد واستوطنها زماناً، وخرج عن بغداد قاصدا دمشق واجتاز الموصل وبها وزيرها جمال الدين الاصفهاني(ت559هـ/1163م) فاكرمه وسكن في ظله الوارف وحظى من فضله الوافر اذ "صدره بالموصل للإقراء والافادة والتصنيف"[1] ، وكانت مؤلفاته في بغداد محل إقامته السابقة، وبلغه ان الغرق قد استولى على بغداد، فسير من يحضر كتبه ان كانت سالمة، فوجدها قد غرقت فيما غرق وزادها على الغرق ان خلف مسكنه مدبغة فاض الماء منها الى منزله، فاهلك الكتب زيادة على هلاكها، فلما أحضرت اليه اخذ في تأملها على نتنها وتغير لونها، فأشير عليه بأن يبخر ما سلم منها فساده بشي مما يغير الرائحة فشرع على تبيخرها باللاذن (وهو نوع من انواع النباتات) ولازم ذلك الى ان بخرها بما يزيد على ثلاثين رطلا من اللاذن فطلع ذلك الى رأسه وعينيه فاحدث له العمى فانكف بصره قبل موته في الموصل[2]، في حين ان حالات إتلاف الكتب قد تم حصرها بمن انتسب الى الموصل من حيث المولد او الاقامة او الوفاة بغض النظر عن مدة إقامته فيها.

ثانياً- طرق إتلاف كتب علماء الموصل خلال العصر العباسي:

قبل الحديث عن إتلاف كتب علماء الموصل خلال العصر العباسي، لابد من التطرق الى طرق إتلاف الكتب وتعددها في تراثنا، وهي لم تخرج عن خمسة طرق معروفة ومعهودة ، ومن الامثلة على طرق إتلاف كتب علماء الموصل خلال العصر العباسي :

إتلاف الكتب بالحرق: تعد هذه الطريقة من اشهر طرق إتلاف الكتب اذ استعملت من قبل السلطة في التعبير عن رفضها العلني لكتب وافكار معينة او حرقها من قبل مصنفيها خشية وقوعها بيد غيرهم فلا يحسنوا استخدامها مما يوقع الفتنة، كما ان خشيتهم من وقوعها بيد السلطة فيتهموهم بالبدعة والاعتزال الفكري فينالهم البطش والدمار مع كتبهم، لاسيما ما عرف عن السلطة العباسية من شدة في هذا الاتجاه وخير مثال على ذلك احراق كتب محمد بن علي الشلغماني (ت332هـ/943م) الذي اقام في الموصل سنين عند ناصر الدولة الحمداني ، ثم عاد الى بغداد زمن الخليفة الراضي بالله (322-329هـ/934-940م) وكان ذلك بعد ان عثر لديه على كتب تدين ادعائه بالربوبية فاتهم بالزندقة وطاله الحرق هو وكتبه[3] .

اما المحدث ابو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سالم بن البراء بن سبرة بن سيار التميمي البغدادي قاضي الموصل، المعروف بابن الجعابي (284-355هـ/897-965م) وهو احد الحفاظ المشهورين في رواية الحديث، فضلاً عن اهتمامه بالتاريخ[1]، وهذا ما لاحظناه من خلال اسماء مؤلفاته التي ذكرها الخطيب البغدادي قائلاً: "وله تصانيف كثيرة في الابواب والشيوخ، ومعرفة الاخوة والاخوات، وتواريخ الامصار..." [2].

وقد اعتمد ابن العديم على كتاب الجعابي (معرفة الاخوة والاخوات)، عند ترجمته لبعض محدثي حلب في كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب قائلاً: "وقرأت في كتاب الاخوة الذين رووا الحديث، تأليف ابي بكر الجعابي"[3].

نلاحظ أن الروايات التي اخذها ابن العديم من ابي بكر الجعابي لا تتعدى الثلاث روايات فقط، ولا يمكن الجزم بكيفية وصول هذه الروايات اليه، فبعد الرجوع إلى كتاب (تاريخ بغداد) الذي ورد فيه ترجمة للقاضي ابي بكر الجعابي تبين ان كتبه جميعاً احرقت، إذ ذكر الخطيب البغدادي[4]: "ان ابن الجعابي لما مات كان أوصى بأن تحرق كتبه فاحرق جميعها، واحرق معها كتب للناس كانت عنده"، وهنا

---

(5) ابن الشعار،(2005)،قلائد الجمان،ج7/118-119.

(1) - ابن القفطي، (2012)،جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف(ت646هـ/1248م)، انباه الرواة على انباه النحاة، ط4. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية،ج2/50.

(2) - ابن القفطي، (2012)، انباه الرواة على انباه النحاة،ج2/50.

(3) ابن الاثير، (2006)، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم(ت630هـ/1232م)،الكامل في التاريخ،ط4، بيروت: دار الكتب العلمية،7/ 104؛ الذهبي، (2001)،سير اعلام النبلاء، 14/ 566-568.

(1) الخطيب البغدادي،(2011)،تاريخ بغداد،240/3

(2) الخطيب البغدادي،(2011)،تاريخ بغداد،240/3.

(3) ابن العديم،(2016)،كمال الدين عمر بن احمد،(ت660هـ/1262م)،بغية الطلب في تاريخ حلب،تحقيق: المهدي عيد الرواضية،ط1 ، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي،ج5/66.

(4) (2011)،تاريخ بغداد،240/3

يطرح سؤال كيف اطلع ابن العديم على هذا الكتاب وهو من كتب ابي بكر الجعابي التي قد احرقت ؟ والاجابة على هذا السؤال تحتمل امرين، الأول: ان ابن العديم وصلته نسخة من هذا الكتاب لم تحرق، بحيث تمكن من ان يطلع عليها، والاحتمال الثاني: ان نصوص هذا الكتاب موجودة في كتب اخرى تخص علم الحديث، مكنت ابن العديم من ان يطلع على هذه النصوص ويفيد منها في كتابه (البغية)، وهذا يعني ان كتبه قبل ان تحرق قد انتشرت وان الذي تم حرقه الكتب التي كانت في حوزته فقط.

كما اورد الذهبي نقلا عن الخطيب البغدادي[5] رواية عن احد المحدثين الذين سمعوا الجعابي يقول:"سمعت ابا بكر بن الجعابي يقول دخلت الرقة فكان لي ثم قمطران كتبا، فانفذت غلامي الى ذلك الرجل الذي كتبي عنده، فرجع الغلام مغموماً فقال: ضاعت الكتب ، فقلت يا بني لا تغتم فإن فيها مائتي الف حديث لا يشكل علي منها حديث ،لا إسنادا ولامتنا"، وهذا يدل على ثبات ذاكرته وحفظه حتى صار من رواة العلم الموثوقين.

2- إتلاف الكتب بالدفن: يغلب على هذه الطريقة الإتلاف الفردي للكتب الخاصة ولا يوجد نص يشير الى ان السلطة قد مارست إتلاف الكتب بالدفن بل غالبا هي إحراق او إغراق او تقطيع ، ويلحظ ان المصادر الاولية شحيحة في عرض هذا السبب برغم ذلك اتفقت بعض المصادر على ما قام به العلامة الحافظ ابو الحسن علي بن مسهر القرشي الكوفي الحنفي قاضي الموصل كان من مشايخ الاسلام"[6]، ولد في الكوفة بحدود سنة (120هـ/737م) سمع يحيى بن سعيد الانصاري والاعمش وسواهم، وحدث عنه ابو بكر بن ابي شيبة ، وعلي بن سعيد بن مسروق وغيرهم، ثم تولى قضاء ارمينية واصابه العمى فرجع الى الكوفة[7] ، اذ ذكر الذهبي[8] قائلا:" فلما سار اليها اشتكى عينه، فجعل يختلف اليه متطبب، فقال القاضي الذي كان بأرمينية : اكحله بشي يذهب عينه حتى اعطيك كذا وكذا ، فكحله بشي ، فذهبت عينه فرجع الى الكوفة اعمى" ، ثم توفي سنة (189هـ/804م) ويبدو انه الف كتب في الحديث لكنها لم تصلنا اذ ذكرت المصادر التاريخية[1] ، انه " دفن كتبه" ولم تذكر السبب، وبعد الرجوع الى كتاب الجواهر المضية للقرشي[2] ذكر نصا مهما وهو" علي بن مسهر ...من اصحاب ابي حنيفة علي بن مسهر وهو الذي اخذ عنه سفيان الثوري علم ابي حنيفة ونسخ منه كتبه وكان ابو حنيفة ينهاه عن ذلك ،....".

إتلاف الكتب بالغسل بالماء : مورست هذه الطريقة في الإتلاف الفردي للكتب حسب ما ذكره احد الباحثين[3]، والمقصود ب (غسل الكتاب) هو ان يأخذ احدهم كتابا فيغمسه في إناء مملوء بالماء حتى يذوب ويُمحى ما كُتب فيه من حروف وكلمات[4]، وغسل الكتابة، اسلوب من اساليب إبادة الكتب وإتلافها، وذلك ان بعض الناس كانوا يعدمون مؤلفاتهم ومؤلفات غيرهم، فيغسلون كتابتها، بأن يضعوا الكتب او الاوراق المخطوطة في الماء مدة من الزمن، فينحل حبرها، وتطمس كتابتها وتشوش معالمها، وذلك للتخلص لما فيها من اقوال واراء لا يرغُب في الابقاء عليها ولا في الاحتفاظ بها، ايضا هذه الطريقة في إتلاف الكتب المصادر شحيحة في عرضها ، في حين يتوفر لدينا شاهدان في غسل الكتب الاول ما قام به عبد الباقي بن نصر بن هبة الله بن يحيى بن رضا ابن العمراني الازدي الموصلي ، وهو من ابناء الرؤساء الاجلاء، ومن بيت مشهور معروف، كان يقول الشعر الرقيق، يمدح به الاعيان من الناس، ولم يقصد بذلك أجراً ولا رفداً، وحج بيت الله الحرام ، وتزيا بزي اهل الديانة والصلاح، ولم يكن في اهله مثله، في حسن طباعه ،يعود بأصوله الى قرية العمرانية احدى قرى الموصل الشرقية[5] ، ولد بالموصل بمحلة شاطي النهر يقصد بها - محلة الكوازين- بزقاق الاكلة- سوق الطعام- سنة (578هـ/1182م) ذهب الى حلب سنة (634هـ/1236م) وبقي فيها وكان يعيش من جامكية المدرسة النورية - العطاء السنوي- ، مضافا الى مسجد كان يصلي فيه اماما ، فضلا عن اشتغاله بالخياطة التي تساعده على تدبير اموره المعاشية اذ " كان له يد قوية في خياطة السجاجيد والمرقعات وربما تمشت احواله بها، لكونه لم يكن له جهة غيرها"[6] ، واستمر في هذا العمل حتى اصيب بمرض السل الذي اذهب قوته ومات في حلب سنة (637هـ/1239م)، لكنه "اوصى بعد موته ، ان يغسل جميع ما قاله من الشعر، فغسله الموصى له"[7] ، ولم تذكر المصادر التاريخية سبب غسله لشعره ما عدا ابن الشعار[8] ، الذي انفرد بترجمته له بعد ان التقى به قائلا:"... لقيته بحلب المحروسة في سنة اربع وثلاثين وستمائة، واستنشدته شيئا من اشعاره فأنشدني كثيراً منها، الا اني لم اقيد شيئا عنه، لأنه كان يضن بها، ويعتذر الي من قصوره في هذا الشأن، وكان رجلا تقيا ساكنا متواضعا عاقلا ، ضعيف الحال، مستورا، لين الجانب، خير الطباع"، يبدو ان سبب غسله لشعره هو انه لم يكن متأكدا من جودة اشعاره اذ "كان يضن بها، ويعتذر الي من قصوره في هذا الشان"... وعلى الرغم من الاختلاف فلا يمكن الجزم بماذا يقصد بالظن مالم يتوفر لدينا

---

(5) "(البغدادي،(2011)، تاريخ بغداد، 238/3؛ الذهبي،(2001)، سير اعلام النبلاء ،89/16.
(6) الصفدي، (د/ت) ، الوافي بالوفيات ،6/ص203؛ الذهبي، (2001)، سير اعلام النبلاء، 485/8
(7) الذهبي، (2001)،سير اعلام النبلاء، 8/ 486؛ الزركلي،(1969)، الاعلام، 22/5.
(8) (2001)،سير اعلام النبلاء،486/8.
(1) الذهبي، (2001)،سير اعلام النبلاء، 8/ 486؛ الزركلي،(1969)، الاعلام، 22/5.
(2) (1332م)،ج55/2.
(3) الحزيمي،(2003)،ناصر، حرق الكتب في التراث الاسلامي، ط1، المانيا: منشورات الجمل ،ص27-28.
(4) سعيد،(2018)،خالد،تاريخ إتلاف الكتب والمكتبات ، المملكة العربية السعودية،دار أثر،ص17.
(5) ياقوت الحموي،(2011)، معجم البلدان، 211/4؛ ابن الشعار،(2005)، قلائد الجمان، مج3 ج143/4
(6) ابن الشعار،(2005)، قلائد الجمان،،مج3ج143/4
(7) ابن الشعار،(2005)، قلائد الجمان،،مج3ج143/4.
(8) ابن الشعار،(2005)، قلائد الجمان،،مج3ج143/4.

بعض شعره وفهم معانيه ، وهذا لن يتحقق بسبب اتلاف ما دون من شعره، وعلى الرغم من انه غسل جميع اشعاره الا ان ابن الشعار[1] ، بحكم صحبته له وقع بين ايديه بعض اشعاره وهي بخط عبد الباقي العمراني منها:

كم وعدوا واخلفوا وعاهدوا ولـم يفوا

وكم دم قد سفكوا ومهجة قد اتلفـوا

وكم محب قتلوا يوم النوى وانصرفوا

يلحظ من هذه الابيات القليلة ان الظن الذي اورده ابن الشعار الموصلي المقصود به هو التعريض بالاخرين ، ويبدو ان في كلامه نقد للمجتمع ربما يكون صحيحاً الامر الذي يؤدي الى الكراهية، وهذا ما جعله محل خصومات مع معاصريه ، وربما رحل الى حلب لهذا السبب.

اما الشاهد الثاني الشاعر ابو علي محمد بن ثروان بن سلطان بن حسان المعروف بهياس ولد في الموصل سنة(578هـ/1182م) وقام بغسل ديوان شعره، وذلك بسبب تراجع الاقبال على الشعر وهذا ما اكده ابن الشعار [2] الذي انفرد بترجمته وعبر من خلالها عن مفردات الحياة الادبية في عصره، اذ قال : " ولما رأى من لؤم اهل هذا الزمان، ورفضهم الفضائل والاداب ، وتقاعسهم عن المكرمات، وكساد سوق التقريض ، غسل ديوان شعره، واعتنى بحفظ الحكايات ... واخبار الناس والتواريخ"، او بسبب تقواه وتدينه فرأى ان يغسل شعره لأنه يخاف الله ان يحاسبه على ما في شعره من امور لا يرضاه الله عز وجل.

4- إتلاف الكتب بالغرق: وهي من اهم الطرق ويقصد بها اغراق الكتب بفعل الكوارث الطبيعية كالفيضانات أو رميها في مجاري الانهار او سواحل البحار من قبل السلطة ،مما يدل على التجاذبات السياسية واثرها على التدوين وحركة الفكر، ومن الامثلة على ذلك ما تعرض له ابو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي اللغوي وهو من مدينة الموصل اذ ذكرت المصادر التاريخية [3] ، بأن اصله من الموصل رحل الى بغداد، ثم رحل الى الاندلس سنة (380هـ/990م) في ايام الخليفة هشام بن الحكم (354-403هـ/965-1013م) وولاية المنصور بن ابي عامر(327-392هـ/938-1002م) ، وصفه ابن خلكان[4] قائلا: كان عالما باللغة والادب والاخبار، سريع الجواب ، حسن الشعر، طيب المعاشرة ، ممتعا فاكرمه المنصور وزاد في الاحسان عليه والافضال عليه"، وجمع له كتاب الفصوص نحى فيه منحى القالي في اماليه، فاكرمه واثابه عليه خمسة الاف دينار، الا انه كان يتهم بالكذب في نقله، فلهذا رفض الناس كتابه، حسب ما ذكرت المصادر التاريخية[5] ، وبقي في الاندلس حتى وفاته بصقلية سنة(417هـ/1026م)، ولما ظهر للمنصور كذبه في النقل وعدم تثبته، رمى بكتاب الفصوص في النهر لانه قيل له : لاصحة له ، فنظم بعض الافاضل في ذلك عصره:

قد غاص في البحر كتاب الفصوص وهكذا كل ثقيـــــلٍ يغوصُ

فلما سمع صاعد هذا البيت انشد:

عاد الى عنصره إنما يخرج من قعر البحور الفصوصُ[1]

على الرغم من ان اصل ابن صاعد من الموصل الا انه من الواضح انه تأثر في بيئة بغدادية ثم اندلسية، الا انها حالة من حالات إتلاف الكتب لمن ينتسب لمدينة الموصل.

كما أثرت الحروب والكوارث الطبيعية على وجود الكتاب العربي ، فكثيراً ما كان يعمد الغزاة بعد اجتياحهم لبلد من البلدان الى هدم كل ما يمت بصلة الى حضارته وثقافته، فقد شهد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي كارثة غزو المغول لحاضرة الخلافة العباسية بغداد سنة(656هـ/1258م) اذ استهدف المغول مكتبة بغداد العظيمة وهي اعظم مكتبة على وجه الارض في ذلك الزمان، وهي المكتبة التي كانت تحوي عصارة فكر المسلمين في اكثر من ستمائة عام، جمعت فيها كل العلوم والاداب والفنون وعلوم شرعية كتفسير القرآن او الحديث والفقه هذا فضلا عن الاف الابيات من الشعر و الكثير من القصص والنثر، اذ حمل التتار الكثير من الكتب الثمينة والقيمة

---

[1] (2005)، قلائد الجمان ، مج3ج4/144.

[2] (2005)، قلائد الجمان، ج7/118- 119.

[3] ابن خلكان،1998، 2/402؛ ابن القفطي ، (2012)،جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف(ت646هـ/1248م)، انباه الرواة على انباه النحاة، ط4. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية،3/102.

[4] 1998، 2/402؛ ابن القفطي،3،102/2012.

[5] ابن خلكان،1998، 2/402؛ ابن القفطي ، 3،102/2012.

[1] ابن خلكان،1998، 2/402.

من بيت الحكمة وما في غيرها من مكتبات بغداد وخزائنها[2] ، والقوا الكثير منها في نهر دجلة ، ويذكر قطب **الدين** النهروالي (ت990هـ/1582م) ان المغول رموا ايضا كتب مدارس بغداد في نهر دجلة ، فكانت بأعداد يصعب إحصائها[3] ، وتحول لون المياه الى اللون الاسود من اثر مداد الكتب والمخطوطات، وكان الفارس المغولي يعبر فوق المجلدات الضخمة من ضفة الى ضفة اخرى[4] وعلى الرغم من طبيعة المبالغة في هذه الروايات الا انها تعبر عن حالة الفوضى والهمجية التي مارسها المغول التتار.

وهذه جريمة في حق الانسانية وخسارة للثقافة والمعرفة والحضارة الاسلامية[5]، اما الكوارث الطبيعية فتشمل الزلازل والفيضانات التي كانت تؤثر على وجود الكتب ، فعندما فاضت بغداد غرقت كتب العالم ابو محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان البغدادي الموصلي (494-569هـ/1100-1173م) وقد عرف عنه عالم له معرفة كاملة بالنحو، رحل الى اصفهان وسمع بها واستفاد من خزائنها ووقوفها ، وكتب الكثير من كتب الادب بخطه وعاد الى بغداد واستوطنها زماناً، وخرج عن بغداد قاصدا دمشق واجتاز الموصل وبها وزيرها جمال الدين الاصفهاني فاكرمه وسكن في ظله الوارف وحظى من فضله الوافر اذ "صدره بالموصل للإقراء والافادة والتصنيف" وكان قد اقام بها اربعا وعشرين سنة وثلاثة اشهر، وكانت مؤلفاته في بغداد محل إقامته السابقة وبلغه ان الغرق قد استولى على بغداد، فسير من يحضر كتبه ان كانت سالمة، فوجدها قد غرقت فيما غرق وزادها على الغرق ان خلف مسكنه مدبغة فاض الماء منها الى منزله، فاهلك الكتب زيادة على هلاكها، فلما أحضرت اليه اخذ في تأملها على نتنها وتغير لونها، فأشير عليه بان يبخر ما سلم منها فساده بشي مما يغير الرائحة فشرع على تبيخرها باللاذن (وهو نوع من انواع النباتات) ولازم ذلك الى ان بخرها بما يزيد على ثلاثين رطلا من اللاذن فطلع ذلك الى رأسه وعينيه فاحدث له العمى فانكف بصره قبل موته[1].

ومن خلال هذه الروايات يتبين ان إتلاف الكتب بالغرق كان من الحالات الوارد حصولها وربما يتم اصلاح ما اتلف منها، وان طريقة علاجها ايضا معروفة من خلال تبخيرها والعمل على إنقاذ مادتها العلمية ومحاولة ترميمها ونجاحه في ذلك بدليل ما ذكره ابن خلكان عند ترجمته لابن الدهان بشهادة منه بان تصانيف ابن الدهان ظلت متداولة ومحل اهتمام علماء الموصل وطلابها بقوله:" ورأيت الخلق يشتغلون بتصانيفه المذكورة في الموصل وتلك الديار اشتغالا كثيرا"، كذلك خص في مدحه كتاب (الغرة) وهو في الاصل شرح لكتاب اللمع لابن جني بقوله:" ولم ار مثله مع كثرة شروح هذا الكتاب "[2] وبالتالي حرص مصنفيها او الحائز عليها على استرجاع ما فقده من قيمتها العلمية في ذلك الوقت، والجدير بالذكر ان تلف الكتب بسبب الغرق هو سبب قهري خارج عن ارادة المصنف ، وان الكوارث الطبيعية دخل في حصولها.

خامساً: إتلاف الكتب بالتقطيع والتخريق: تعد هذه الطريقة من اقل الطرق المستعملة في اتلاف الكتب، ومن النماذج التي وصلت الينا اخبارها في تمزيق الكتب ما قام به المحدث غسان بن عبيد الازدي الموصلي (ت بعد سنة 200هـ/815م) الذي كان من المحدثين في الموصل ثم انتقل الى الثغر دون معرفة مكانه بالضبط وقد مزقت كتبه، اذ ذكره الخطيب البغدادي [3] قائلاً:" غسان بن عبيد الازدي من اهل الموصل حدث عن ابي عاتكة طريف بن سلمان وسفيان الثوري... قدم بغداد وحدث بها... ويقال ان غسان خرج عن الموصل فاستوطن الثغر ، وكتب الناس عنه هناك" ويقصد بالثغر هو كل موضع قريب من ارض العدو يسمى ثغرا ويقصد بها طرسوس واذنة والمصيصة وما يضاف اليها [4] ، وقذ ذكر احد الباحثين ان هذه الثغور اختصت بصفة الثغر لأهميتها الاستراتيجية في العلاقات بين العرب والبيزنطيين [5] وذكر الخطيب البغدادي[6] ان الامام احمد بن حنبل كان قد كتب عن غسان بن عبيد قائلا: " كتبنا عن غسان بن عبيد الموصلي – قدم علينا هنا- وكان قد سمع من سفيان- يقصد سفيان الثوري- احاديث يسيرة، وكتبت منها احاديث، وخرجت حديثه منذ حين....."(2011، 12 / 324- 325) اما الذهبي[7] فاشار الى ان احمد بن حنبل قال :" كتبنا عنه ، قدم علينا هاهنا، ثم خرّقتُ حديثه ".

يلحظ ان المعلومات عن المحدث غسان بن عبيد الموصلي من مصدرين الأول الخطيب البغدادي في كتابه (تاريخ بغداد)، والمصدر الثاني الذهبي في كتابه (ميزان الاعتدال)، الاول يقول" خرجت حديثه"، والثاني يقول" خرقت حديثه"، ومن سياق الروايات السابقة عنه في

---

[2] سعيد ،(2018)، خالد، تاريخ إتلاف الكتب والمكتبات، المملكة العربية السعودية، دار أثر،ص123.
[3] عبد ربه، اسراء محمد، ومحمد، اشرف صالح، (2012)، إتلاف السلطة للكتب في الحضارة العربية الاسلامية، بحث منشور في مجلة بحوث الشرق الاوسط، عدد48،ص179.
[4] علي ، محمد كرد،(1950)، الاسلام والحضارة العربية ،القاهرة: لجنة التالف والترجمة والنشر،323/1.
[5] عبد ربه، اسراء محمد، ومحمد، اشرف صالح، (2012)،،عدد48،ص213.
[1] ابن القفطي،2012،ج50/2؛ الصفدي، (د/ت)،157/15.
[2] ابن خلكان،1998 ،ج319/2-320،
[3] (2011)،324-323/12.
[4] ياقوت الحموي،2011،م2/ 93.
[5] الجلبي،2004،بسام ادريس، الموصل 2 /9.
[6] (2011)،324-323/12.
[7] (2009)،335/3.

كلا الترجمتين تبين ان النصين صحيحان، لكن الاختلاف ورد في معنى كل منهما فالخطيب البغدادي يقول" خرجت حديثه" اي ارجعه الى اصوله بسلسلة اسناده، اما الذهبي فنصه يشير الى " خرقت حديثه" اي مزق الصفحات التي كتب فيها احاديثه .

وهذا ما تؤكده الاخبار الواردة عنه بخصوص ضعف احاديثه وارباك سلسلة اسناده التي ذكرها كل من الخطيب البغدادي والذهبي وكلاهما معروفاً بإحكام الاحاديث ورجالها، في حين ربما ان نص الخطيب البغدادي هو في الاصل فيه تصحيف اما في المخطوط او الطبعة التي وصلت الينا منشورة بما يخص مفردة (خرجت) و (خرقت)، وبالتالي في كل ما سبق يتبين ان مصنفات هذا المحدث قد تم إتلافها فيما بعد في بغداد اذ قال الامام احمد بن حنبل:" كتبنا عن غسان بن عبيد الموصلي_ قدم علينا ههنا_ وكان قد سمع من سفيان احاديث يسيرة، وكتبت منها احاديث، وخرجت حديثه منذ حين، وانما كان سمع من سفيان شيئا يسيرا، وانكر ان يكون سمع الجامع من سفيان" [1] ، وقد اشار الى مسالة تمزيق كتبه الباحث بسام الجلبي [2] بشكل عرضي دون الدخول في هذه التفاصيل، معتمداً على مفردة (خرقت حديثه) دون الوقوف عندها أو الانتباه اليها، في حين ماهو مؤكد ان هذه الكتب لم تصل الينا وهي مفقودة.

ثالثاً: استدامة كتب علماء الموصل التالفة مقاربة علمية لحفظ المعرفة المكتوبة:

تعد استدامة الكتب التالفة إحدى القضايا الجوهرية في مجال حفظ التراث الثقافي المكتوب، اذ تمثل هذه الكتب جزءا من الذاكرة العلمية والحضارية للشعوب ، وتكمن أهمية استدامتها في ضمان استمرارية المعرفة ونقلها بين الاجيال، أما سبل استدامتها اتلاف الكتب واثرها من خلال نشر الوعي بأهمية الكتاب بين فئات المجتمع، خاصة الناشئة، وحماية الارث الثقافي والحضاري، من خلال معالجة الاضرار المادية التي لحقت بها، وتبني استراتيجيات وقائية وتقنية تضمن بقائها من خلال التبرع بنسخ صالحة من الكتب التالفة، او اعادة ترميمها بطرق صحيحة مثل التبخير خاصة الكتب التي تم اغراقها بالماء مثل غرق كتب ابو محمد سعيد بن المبارك بن الدهان في فيضان بغداد سنة (568هـ/1173م) فقام بتبخيرها ويبدو ان محاولاته في إنقاذ كتبه التي تعرضت للتلف تكللت بالنجاح ، ولعل دليل ذلك اعتماد المؤرخين اللاحقين على نصوص كتب ابن الدهان مثل ابن خلكان الذي توفي بعده ما يقارب تسعة عقود وغيرهم من المؤرخين.

وهذا يشيران كتب ابن الدهان لها قيمتها وأنها متداولة في عصره والعصور اللاحقة ، في حين ان اصلاح الكتب التالفة وترميمها هو انموذج على الاستدامة للمصنفات في التراث العربي الاسلامي وان علماء الموصل كانوا حريصين على استدامة وصيانة كتبهم.

أو استخدام طرق مبتكرة للحفاظ على مضمونها واحياء بعض نصوصها من خلال جمعها ومتابعتها في مصادر اخرى قد تكون معاصرة لها نسبيا او جاءت بعدها ، او ان تلك الكتب التي تم إتلافها كانت قد انتشرت بين الناس قبل اتلافها، وبالتالي قد يصل الينا بعض مضامينها او اجزاء منها او بعض نصوصها ، وهذه الاستدامة تحتاج الى معرفة الاصول والكشف عن المصادر الاولية واخبار الكتب التي تم إتلاف مضامينها، وايضا من خلال مبادرات تبادل الكتب يسهم في تحقيق اهداف التنمية المستدامة بشكل مباشر ويقلل الاتلاف ويزيد الوعي الثقافي ، او استخدام الذكاء الاصطناعي ومحاولة ايجاد الكتب التي تحمل في مضامينها نصوص الكتب التالفة ويدعم الهدف الرابع وهو(التعليم الجيد)اذ يؤدي الاتلاف الى حرمان طلبة العلم من مصادر التعليم ، فالحفاظ على الكتب يسهم في تحقيق تعليم شامل ومنصف ويضمن التعليم مدى الحياة، والهدف الحادي عشر(مدن ومجتمعات مستدامة) اذ يهدد هوية المدينة ويقلل من فرص تعافيها فكريا وثقافيا، فالحفاظ على الكتب جزء من الحفاظ على التراث الثقافي، والهدف الثاني عشر (الاستهلاك والانتاج) فالإتلاف يتسبب بهدر الورق والموارد البيئية، والهدف السادس عشر (السلام والعدالة والمؤسسات القوية) اذ يضعف الحوار الثقافي ويكرس الجهل والتعصب، فإتلاف الكتب في سياقات سياسية او ايدلوجية كما حدث في العصر العباسي يعكس ضعف المؤسسات ويقوض الحق في الوصول الى المعلومات، في حين حماية الكتب يعزز من الشفافية وحرية الفكر.

جدول بأسماء علماء الموصل الذين اتلفت كتبهم

اسم العالم	العلم الذي اشتهر به	اسماء الكتب التي اتلفت	نوع الاتلاف	المكان	المصدر
علي بن مسهر القرشي (ت189هـ/804م)	الحديث		دفن كتبه	الموصل	الخطيب البغدادي، 4،2011/56
غسان بن عبيد الازدي (ت بعد 200هـ/815م)	الحديث		حرق كتبه	الموصل	الخطيب البغدادي، 6،2011/88

[1] الخطيب البغدادي،2011، 12/ 324- 324.
[2] (2004)، 8/2.

محمد بن علي الشلغماني(ت332هـ/943م)			احرق هو وكتبه	بغداد	الذهبي، 14،2001/566
ابو بكر محمد بن عمر البغدادي المعروف بابن الجعابي(ت355هـ/965م)	الحديث، التاريخ		حرق كتبه	الموصل	الخطيب البغدادي، 4،2011/98
ابو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الموصلي البغدادي(ت417هـ/1026م)	اللغة	كتاب الفصوص	تم رمي كتابه في النهر	الاندلس	ابن خلكان، 1998، 2/ 402
ابو محمد سعيد بن المبارك البغدادي الموصلي(ت569هـ/1173م)	النحو، اللغة		غرقت كتبه	بغداد	ابن القفطي،2012،ج50/2
ابو علي محمد بن ثروان بن سلطان ولد في الموصل سنة(578هـ/1182م)		ديوان شعره	غسل ديوان شعره	حلب	ابن الشعار،2005،ج118/7
عبد الباقي بن نصر بن هبة الله العمراني الازدي(ت637هـ/1239م)	اللغة، الشعر		غسل اوراقه	الموصل	ابن الشعار،2005 ،مج3 ج144/4

الخاتمة:

توصل هذا البحث الى استنتاجات عدة وتوصيات اهمها:

اولا: ظاهرة إتلاف الكتب في التاريخ الاسلامي بدأت مع تطور التدوين في مختلف العلوم، ثم انتقلت الى العصور التي تليها مع تباين في الظاهرة من حيث اسبابها ووسائلها.

ثانيا: فقدت الكثير من كتب التراث الاسلامي بسبب الاتلاف المتعمد وغير المتعمد، ولم تشكل ظاهرة عامة بقدر ما هي حالات تتسم بالشحة وندرة المعلومات التي ورد ذكرها في المصادر التاريخية.

ثالثا: تعددت طرق إتلاف الكتب وان كان بعضها يغلب على بعض ومن هذه الطرق الحرق والدفن والاغراق، وان هناك نصوص نادرة تشير الى معالجة تلف الكتب ومحاولة الاستفادة منها وسبل استدامتها.

رابعاً: اتجاهات السلطة ادت الى إتلاف بعض الكتب ومتابعة مصنفيها، في حين ان متابعة تلك الاتجاهات والوصول الى حقائقها مرهون بالنقد التاريخي والغوص في الفكر السياسي ومتابعة ميول واتجاهات المصادر التي يتم نقل روايتها بما يخص إتلاف الكتب.

خامساً: ان إتلاف الكتب في مدينة الموصل لا يعني ضياع مصنفات علمائها، بل هي حالة مرت بها معظم المدن العربية والاسلامية وهي لا تمس روح المدينة وهويتها الثقافية، في حين إن ربط هذا الموضوع بالتنمية المستدامة يعد ضرورة حضارية ، اذ لا يمكن بناء مستقبل مزدهر دون حماية المعرفة العلمية وتعزيز التعليم واحترام الذاكرة الثقافية للشعوب.

سادسا : إن استدامة الكتب التالفة تمثل مسؤولية علمية وثقافية مشتركة تتطلب تضافر الجهود بين المؤسسات الاكاديمية والمراكز العلمية، كونها رؤية استراتيجية تهدف الى صون المعرفة الانسانية وضمان استمراريتها، ومن خلال سبل استدامتها يمكن تحويل الكتب التالفة من مواد مهددة بالاندثار الى مواد معرفية متجددة تخدم التعليم والبحث العلمي ، وبذلك تصبح استدامة هذه الكتب خطوة اساسية في تحقيق التنمية الثقافية المستدامة وحماية الإرث الفكري والعلمي لمدن عريقة مثل الموصل التي كانت ولا زالت منارة للعلم والعلماء عبر العصور.

References

1. Ibn al-Athir, (2006), Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim (d. 630 AH/1232 CE), Al-Kamil fi al-Tarikh, 4th ed., Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
2. Al-Jalabi, 2004, Bassam Idris, Mosul
3. Al-Hazimi, (2003), Nasir, Burning Books in Islamic Heritage, 1st ed., Germany: Al-Jamal Publications.

4. Al-Khatib al-Baghdadi, (2011), Abu Bakr Ahmad ibn Ali (d. 463 AH/1071 CE), Tarikh Baghdad, edited by Mustafa Abd al-Qadir Atta, 3rd ed., Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.
5. Ibn Khallikan, (1998), Shams al-Din Ahmad ibn Muhammad ibn Abi Bakr (d. 681 AH/1282 CE), Wafayat al-A'yan wa Anba' Abna' al-Zaman, edited by Ihsan Abbas, Beirut: Dar al-Thaqafa.
6. Al-Dhahabi, (2009), Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman (d. 748 AH/1374 CE), Mizan al-I'tidal fi Naqd al-Rijal, edited by Muhammad Barakat, 1st edition, Syria: Al-Risalah al-Alamiyyah..
7. Al-Dhahabi, (2001), Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman (d. 748 AH/1374 CE), Siyar A'lam al-Nubala', 11th edition, edited by Shu'ayb al-Arna'ut and Akram al-Bushi, Beirut: Mu'assasat al-Risalah.
8. Al-Zarkali, (1969), Khayr al-Din, Al-A'lam, 3rd edition, Beirut
9. Sa'id, (2018), Khalid, Tarikh Itlaf al-Kutubwa al-Maktabat, Kingdom of Saudi Arabia, Dar Athar.
10. Ibn al-Sha'ar, (2005), Abu al-Barakat Kamal al-Din al-Mubarak, (d. 654 AH/1256 CE), Qala'id al-Juman fi Fara'id Shu'ara' Hadha al-Zaman, 1st ed., edited by Kamil Salman al-Jaburi, Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.
11. Al-Safadi, (n.d.), Salah al-Din Khalil ibn Aybak (d. 764 AH/1363 CE), Kitab al-Wafi bi'l-Wafayat, edited by Ahmad al-Arna'ut and Turki Mustafa, Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
12. Abd Rabbo, Isra' Muhammad, and Muhammad, Ashraf Salih, (2012), Itlaf al-Sultah li'l-Kutub fi al-Hadarah al-'Arabiyya al-Islamiyya, a research paper published in the Journal of Middle East Research, No. 48.
13. Ibn al-'Adim, (2016), Kamal al-Din 'Umar ibn Ahmad, (d. 660 AH/1262 CE), Bughyat al-Talab fi Tarikh Halab, edited by al-Mahdi 'Eid al-Rawadiya, 1st ed., Mu'assasat al-Furqan li'l-Turath al-Islami.
14. Ali, Muhammad Kurd, (1950), Islam and Arab Civilization, Cairo: Committee for Compilation, Translation and Publication.
15. Al-Farahidi (d. 1409 AH), Abu Abd al-Rahman ibn Ahmad (d. 175 AH/791 CE), Kitab al-'Ayn, edited by Mahdi al-Makhzumi and Ibrahim al-Samarrai, 2nd edition, Dar al-Hijrah Foundation.
16. Fathallah (d. 1995), Ahmad, Mu'jam al-Alfaz al-Fiqh al-Ja'fari, 1st edition, Dammam
17. Al-Fayruzabadi (d. 2008), Majd al-Din Muhammad ibn Ya'qub (d. 817 AH/1414 CE), Mu'jam al-Qamus al-Muhit, Lebanon: Dar al-Ma'rifah.
18. Al-Qurashi (d. 1332 AH), Abd al-Qadir ibn Muhammad ibn Abi al-Wafa' (d. 775 AH/1373 CE), Al-Jawahir al-Mudiyyah fi Tabaqat al-Hanafiyyah, 1st edition, India: Al-Qurashi Press, Council of the Ottoman Encyclopedia.
19. Al-Qurashi 19- Ibn al-Qifti, (2012), Jamal al-Din Abi al-Hasan Ali ibn Yusuf (d. 646 AH/1248 CE), Inbah al-Ruwat 'ala Inbah al-Nuhat, 4th ed., edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Cairo: Dar al-Kutub wa al-Watha'iq al-Qawmiyya Press.
20. Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah (d. 626 AH/1228 CE), Mu'jam al-Buldan, edited by Farid Abd al-Aziz al-Jundi, 2nd ed., (Lebanon: 2011), Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, vol. 1/21.